الصعيد في عهد شيخ العرب همام

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر / فرع البنات
القاهرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المكتبة العربية
التـرجمة

الصّعيد في عهد شيخ العرب همام

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر / فرع البنات
القاهرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الاخراج الفنى

ألبير جورجى

اهـــداء

الى روح أستاذي الجليل

الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

أهدى هذا الكتاب

فهو من ثمار غرسه وتوجيهاته

ليلى عبد اللطيف أحمد

المقدمة

يعالج هذا الكتاب سيرة شيخ العرب همام وحكم جرجا (أو الصعيد) فى فترة غامضة من تاريخ مصر فى القرن الثامن عشر الميلادى / الثانى عشر الهجرى فى عصر الحكم العثمانى المملوكى ، ذلك العصر الذى يحتل مرحلة هامة من مراحل تطور تاريخنا القومى ٠

وبالرغم من الأهمية التى يحتلها هذا العصر فى تاريخنا فانه لم يحظ من المؤرخين المحدثين بالعناية التى تتفق وأهميته ، فقد تجاهل المؤرخون والباحثون سواء فى مصر أو فى الدوائر العلمية فى الغرب (١) الفترة الطويلة التى قضتها مصر تحت الحكم العثمانى قبل عهد محمد على ، وقد مالوا الى اعتبار هذه الفترة غير جديرة بالدراسة الجدية وقنعت أسرة محمد على فى مصر بتشجيع الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخها الخاص (٢) ٠

وقد شاع بين المؤرخين والباحثين أن مصر قد اصابها فى العصر العثمانى اضمحلال سرى فى كيانها وتغلغل فى شتى نواحى حياتها فأدى هذا الى انصرافهم عن الاهتمام بتناول الحياة فيه وآثروا بالدراسة العصر السابق له وهو العصر الاسلامى حيث كانت الحياة أدنى الى الازدهار ، والعصر التالى له الذى حفل بأحداث الصراع الوطنى ضد الاستعمار الأوروبى الحديث (٣) وبذلك زاد هذا العصر ظلاما على ظلامه ٠

---

(١) لم يبدأ الاهتمام بشكل جدى فى الدوائر العلمية فى الغرب بتاريخ مصر العثمانية الا فى السنوات الأخيرة ٠

(٢) د٠ ستانفورد جـ ٠ شو ٠
الوثائق المصرية فى العهد العثمانى ١٩١٧هـ/١٩١٤م ٠
مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثانى الجزء الأول مايو ١٩٥٦ ص ١٤٧ ٠

(٣) أحمد البديرى : حوادث دمشق اليومية ٠
تحقيق ونشر : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ٠
من مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ٠ القاهرة ١٩٥٩ م ص ٦ من المقدمة ٠

وقد ساعد على هذا الاهمال افتقار هذا العصر الى المؤرخين العمالقة الذين حفل بهم العصر السابق له (١) مع صعوبة الوصول الى المصادر الأصلية التى ينبغى أن تكون فى متناول الباحث فى هذا العصر ٠

فالوثائق الرسمية له والتى يوجد أكثرها وأهمها فى دار المحفوظات بالقلعة مازالت تحتاج الى جهود كبيرة لاعدادها للباحثين بتصنيفهـــا وترجمة المدون منها بخط القرمة ٠ فقد كانت سجلات المالية الصادرة من ديوان الدفترى وديوان الروزنامة تكتب بخط القرمة من أجل توفير السرية لها ، وهذا الخط لا يستطيع أن يقرأه شخص قادر على قراءة الخطوط العربية العادية بلا درس خاص وفك رموزه هو المشكلة الرئيسية التى تواجه الباحث فى تاريخ مصر العثمانية ٠

وتمتاز الحروف فى خط القرمة (٢) بقصرها واستطالتها وتستعمل فيه رموز لا حصر لها فى اتصال حرفين وثلاثة (٣) ٠

---

(١) من المؤرخين العمالقة الذين حفـــل بهم العصر المملـــوكى من سنة ١٢٥٠م : ١٥١٧م ٠

المؤرخ	أشهر مؤلفاته
١ ــ ابن حجر	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٠
٢ ــ المقريزى	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
٣ ــ ابن فضل الله العمرى	مسالك الابصار فى محالك الأمصار
٤ ــ ابن اياس	بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٥ ــ القلقشندى	صبح الأعشى فى صناعة الانشا
٦ ــ السخاوى	التبر المسبوك فى ذيل السلوك
٧ ــ أبو المحاسن بن تغرى بردى	النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
٨ ــ ابن خلكان	وفيات الأعيان
٩ ــ جلال الدين السيوطى	حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة ٠

د٠ محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى/التاسع الهجرى ٠
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ٠ القاهرة ١٩٥٤ (طبعة ثانية) ٠

(٢) عن نماذج خط القرمة : انظر ملحق رقم ١ ص ١٥٧ ٠

(٣) تمكنت من فك رموز هذا الخط بمحاولة قراءة نماذج مختلفة من الوثائق المدونة به وساعدنى على ذلك :
. ان الاصطلاحات الادارية والجمل المستخدمة فى هذه الوثائق محدودة العدد نســـبيا ومكررة أكثر من مرة فى سجلات الموضوع نفسه ٠ =

ومعظم الوثائق الخاصـــة بمصر العثمانية مدونة أما بخط القرمة أو باللغة التركية القديمة الوثائقية مما يجعل من العسير على الباحثين (١) الاستفادة من هذه الوثائق ٠

ويجب الاشارة الى أن السجلات الموجودة فى القلعة مختصرة جدا فى معلوماتها وهى تقدم تفسيرا ضئيلا لمعانى المصطلحات المالية والادارية التى تتضمنها ويمكن فهم معانيها فى احوال كثيرة بالاستعانة بأصولها العلمية خصوصا تفسيرات علماء الحملة الفرنسية التى تركها نابليون فى مصر والتى أخرجت مؤلفها الضخم عن مصر كتاب وصف مصر :

Description De L'Egypte

وتتضمن سجلات القلعة طائفة عظيمة من المعلومات الادارية والمالية غير أنها :

لا تلقى ضوءا على الفساد التدريجى الذى دب فى نظام الحكم فى مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر نتيجة لانحلال السلطـــة العثمانية وازدياد الطغيان واساءة حكم الأوجاقات ٠

وذلك لأن هيئات الادارة كما هو مقيد فى السجلات لم تتغير ، فضلا عن ذلك فهى كلهـا وثائق كانت تصدرها السلطـــة المركزية فى القاهرة ، فهى على أهميتها لا تقدم صورة كاملة للحياة فى مصر فى العصر العثمانى لأن وثائق الادارة المحلية لم تجمع بعد أو تتوافر فى محفوظات عمومية ٠

واذا كانت دار المحفوظات تشتمل على وثائق ذات أهمية كبرى من الناحيتين المالية والادارية فان الجزء الباقى من تلك الوثائق الخاصـــة

= بالاضافة لوجود دليل لاستعمال خط القرمة ولمعانى المصطلحات الحســـابية التى تتضمنها السجلات فى دار المحفوظات ٠

ومما ساعدنى أكثر على قراءة خط القرمة التى عثرت بين وثائق دار الوثائق القومية بعابدين (قبل نقلها الى القلعة) على مجموعة حجج صادرة من المحاكم الشرعيـــة وخاصة بفراغ بعض الملتزمين عن أراضيهم لآخرين وهذه الحجج مدونة باللغة العربية ومرفق بكل منها صورة التقسيط الأصلى ـ بخط القرمة ـ الذى أخذ به الملتزم أرضه ٠

وبمقارنة الأسماء فى الحجة الشرعيـــة بما يقابلها فى التقســـيط الأصلى وبمقارنة المصطلحات الادارية فى الاثنين أمكن لى حل الكثير من رموز خط القرمة ٠

(١) لمحمد محمد توفيق : رسالة عن خط القرمة : وهى غير منشورة وكانت بجامعة القاهرة وقد بحثت عنها طويلا فى مكتبة الجامعة ولكنى لم أستطع العثور عليها ٠

بتاريخ مصر العثمانية موجود فى المحكمة الشرعية ووزارة الاوقاف وهو ذو أهمية فى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية (١) ٠

واذا ما تركنا الوثائق واتجهنا الى ما كتبه المعاصرون من أبنـــاء البلاد انفسهم فى تاريخ هذا العصر لوجدناه قدرا ضئيلا فقـد بعضـه وتسرب البعض الآخر الى الخارج ٠

والمؤرخ عبـــد الرحمن الجبرتى الذى ينتمى الى أواخـــر العصر العثمانى يؤكد هذا فبعد ان عدد كتب التاريخ التى يعرفهـــا ذكر أن (هذه صارت أسماء من غير مسميات فأننا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشـتة بقيت فى بعض خـزائن كتب الأوقاف بالمـدارس مما تداولته أيدى الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت الى بلاد المغرب والسودان) (٢) ٠

كذلك أدت كثرة الفتن فى العصر العثمـــانى والنزاع بين الفرق العثمانية والبيوتات المملوكية الى اتلاف الكثير من المكتبـات وفى ذلك يقول الجبرتى :

(ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب وأخـــذ الفرنسيس ما وجدوا الى بلادهم (٣)) ٠

وقد سجل الرحالة الأجانب (٤) الشىء الكثير عن مصر العثمـانية ورغم أهمية ما كتبه هؤلاء الرحالة عن تلك الفترة فانه يجب على الباحث أن يأخذه بحذر شديد فالأوربيون بسبب الأوضـــاع العـامة فى مصر العثمانية لم يتمكنوا من التغلغل فى الحياة المصرية ودراستها دراســـة

---

(١) د٠ ستانفورد ج٠ سو S. G. Shaw.
الوثائق المصرية فى العهد العثمانى ٠
مجلة معهد المخطوطات العربية لسنة ١٩٥٦ ص ١٥٥ ٠

(٢) عبد الرحمن الجبرتى ، عجـائب الآثار فى التراجم والأخبـار ٠ طبعة بولاق سنة ١٢٩٧هـ ج ١ ص ٦ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦ ٠

(٤) زار مصر العثمانية عشرات من الرحالة من مختلف الأجناس منهم :

James Bruce	(١٧٦٩م) الانجليزى
Vansleb	(١٦٦٣ ، ١٦٧٢) المانى الأصل فرنسى الجنسية
Norden	(١٨٠١م) الدانمركى ٠
Volney	(١٧٨٣ ، ١٧٨٥) فولنى الفرنسى
Pococke	(١٣٣٧ ـ ١٧٤١م) الانجليزى

وافية ، وأحيانا كان يشوب كتابات هؤلاء الرحالة الهـوى أو النفـاق أو غير ذلك مما يشوه المادة التاريخية ٠

بالرغم من المشاق التى يلاقيها الباحث فى تاريخ مصر العثمانية فان أهمية وجدة وطرافة المعلومات التى يحصل عليها تهون عليه مهمته وتشجعه على المضى فى دراسة هذا العصر ٠

وقد وجه استاذنا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الدعوة لقيـام حملة علمية منظمة للكشف عن المصادر الأصلية للتاريخ العربى فى العصر العثمانى وخاصة فى العهد الأول منه ٠

(أى من أوائل القرن السادس عشر الميلادى حتى القرن التاسع عشر) وهو العهد الذى نال أكبر نصيب من اهمال المؤرخين المحدثين(٢) ٠

وتلبية لدعوة أستاذنا الفاضل وبتوجيه كريم منه أقدم هذا المؤلف المتواضع لجـلاء جانب من جوانب حيـاة المجتمـع المصرى فى العصر العثمانى ٠

وأرجو أن يكون هذا البحث لبنة فى البنـاء التاريخى الذى دعا استاذنا لاقامته ٠

يتناول هذا الكتاب حياة شخصية عربية عاشت فى الصعيد فى النصف الأول من القرن الثامن عشر م ونحو عشرين عاما من النصف الثانى منه تلك هى شخصية شيخ العرب همام بن يوسف زعيم قبائل الهوارة التى نزلت الصعيد (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) واستقرت به وكانت لها به سطوة ونفوذ كبير ٠

وقد كان الهوارة اقوى قبائل الصعيد بأسا واكثرها استقرارا واقدرها على العمل السياسى ٠

وقد اشتهر الشيخ همـام بأنه أقوى الشخصـيات العربيـة التى سيطرت على الصعيد فى القرن الثامن عشر ٠

غير أن أهمية الشيخ همام لا ترجـع الى سيطرته على الحـكم فى الصعيد ، بقدر ما توضح لنا الترجمة لتلك الشخصية الفريدة فى نوعها نظام الحياة فى الصعيد فى تلك الفترة خاصة ، وفى العصر العثمـانى عامة ، والقوى التى تنازعت السلطة فيه ، وعلاقاتها بالهيئة الحاكمة فى

---

(١) البديرى : حوادث دمشق اليومية ٠ تحقيق : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم المقدمة ص ٦ ٠

القاهرة وكيف كان لنظام الالتزام أثر كبير فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر العثمانية عامة أو فى الصعيد خاصة ·

وقد أشار بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى تلك الفترة الى شخصية الشيخ همام والى ما كان يتمتع به من ثراء وسلطة واسعة فى الصعيد ·

وقد قدم لنا الجبرتى ترجمة مستفيضة (١) للشيخ همام فى كتابه عجائب الآثار أشار فيها الى ما كان من كرم هذا الشيخ وعنايته الزائدة بأكرام الضيوف وصلة المحتاجين واكرام العلماء والى ما كان عنده من ادارة واسعة منظمة تحوى جيشا من الموظفين ، وقدم الجبرتى أيضا وصفا للصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير وعلاقات همام والهوارة مع الأمراء المماليك ونهاية همام واسرته وكيف ادار على بك الصعيد بعد القضاء على همام ·

وبالرغم من أهمية تلك الشخصية فقد اكتنف الغموض حقيقتها(٢) ولم تحظ من الباحثين فى تاريخ العصر العثمانى بالعناية التى تستحقها وقد شاقنى كثيرا أن أبحث حياة الشيخ همام لجلاء الغموض الذى اكتنف حياته ، وحقيقة دوره فى حياة الصعيد فى تلك الفترة الغامضة من تاريخنا القومى ·

كان الشيخ همام زعيما لقبائل الهوارة التى وفدت الى مصر من المغرب والتى استقرت أولا فى منطقة البحيرة ثم قام زعيمها بدر بن سلام بثورة كبيرة على عهد الأمير برقوق (٣) فى (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) حيث

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ ·

(٢) U. A R. GIBB and Harold Bowen, Islamic society and the west a study of the impact of western civilization on Moslem culture in the Near East.
London Oxford U.R. 2 edition 1962 Vol. 1, p. 228.

(٣) السلطان برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ/١٣٨٢م - ١٣٩٨م)

هو مؤسس الدولة المملوكية الثانية أو دولة المماليك الجراكسة وضع نهاية بيت قلاوون وقد امتاز بعقلية فذة وشخصية قوية ، وقد قدم الجراكسة وأكثر من استجلابهم ، وشن حرب ابادة على العناصر التركية وقد قام بمحاولات ناجحة فى سبيل ازالة سلطان المماليك الأتراك واحلال الجراكسة محلهم فى مصر والشام وقد نجح فى ذلك وأعلن نفسه سلطانا بالقاهرة ودمشق سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ·

د· حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ·
دار الكتاب العربى - القاهرة ١٩٦٧م ·

كان برقوق اتابكا (١) وقد امتنع بدر بن سلام عن اداء التزاماته واهمها جباية الخراج ووجد الفرصة مواتية لاعادة النفوذ العربى الى مصر فهاجم دمنهور فى خمسة آلاف رجل نهبوا اسواقها ، وبيوتها وخربوا قراها وضياعها ، وظل برقوق عاجزا عن قمع الثورة لانشغاله فى مقاومة المماليك الترك (٢) ٠

ولكنه ما ان انتهى من ذلك حتى وجه حملة ضخمة الى بدر بن سلام قضت على ثورته وهرب بدر بن سلام الى برقة واخرج برقوق باقى عربان الهوارة الى الصعيد (سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م) (٣) واقطعهم منطقة جرجا اتقاء لشرهم ودفعا لهم الى الهدوء والاستقرار ، وقد كانت تلك المنطقة وقتئذ منطقة خربة فقام الهوارة بتعميرها واستقروا بها واشتغلوا بزراعة قصب السكر فأثروا من وراء ذلك ثراء طائلا لأنه محصول نقدى هام ٠

وقد استقر الهوارة فى الصعيد ، وبفضل ما تمتعوا به من ثراء سيطروا على حياة الصعيد ، وواصلوا سياسة التمرد ضد الحكومة

---

(١) الأتابك :

هو القائد العام للجيش المملوكى ، وكان لقب أتابك يطلق عند السلاجقة على المؤدب او المربى أو الوصى ثم أصبح من القاب التشريف التى تخلع على كبار الأمراء حتى غدا فى عصر المماليك لا يطلق الا على قائد العسكر ومن الواضح أن صاحب هذه الوظيفة تمتع بنفوذ كبير ولكلمة عالية فى الدولة بوصفه راس الجيش وصاحب القوة الضاربة بين كبار الأمراء ٠

ولا أدل على نفوذ الاتابكية وقوتهم من أن كثيرا منهم وصلوا الى عرش السلطنة اما عن طريق الاغتصاب ، أو بفضل قوتهم ٠

أما اذا ولى الحكم سلطان قاصر فانه كان يصبح العوبة فى يد أتابك الجيش يتحكم فيه كيفما شاء ٠

د٠ سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ٠

دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٥ طبعة أولى ص ٣٥٤ ٠

(٢) المماليك الترك :

هم مماليك الدولة المملوكية الأولى وهم من الخوارزمية والتركمان والتتار وقد بدأت دولتهم ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وانتهت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م بقيام دولة المماليك الشانية أو دولة المماليك الجراكسة ٠

د٠ حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢ ٠

(٣) محمد مرتضى الزبيدى : شرح القاموس المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس القاهرة ١٣٠٦هـ ٠ ج ٣ ص ٦٣٤ ٠

وسليمان عبد الرحمن : مقال : لقب أمير الصعيد صحيفة البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ ص ٥٧ ٠

المملوكية واثارة ثائرتها ضدهم بتمردهم احيانا ، وامتناعهم عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم فى احيان أخرى وأيضا مهاجمة الاقطاعات المملوكية ٠

وقد واصل المماليك بالتالى ارسال الحملات العسكرية لتأديب الهوارة والقضاء على تمردهم وسأفصل الحديث عن ذلك فى الفصل الأول الخاص بالهوارة فى الصعيد ٠

وقد كانت ثورات الهوارة فى العصر المملوكى بقصد التطلع للاستيلاء على الحكم كشأن كل القبائل العربية فى مصر حينئذ فما أكثر ما ثارت القبائل العربية فى العصر المملوكى من بدايته الى نهايته متطلعة الى الاستيلاء على الحكم معتبره نفسها أحق به من الحاكمين ٠

وقد بدأت ثورات العرب مع بداية العصر المملوكى فى مصر فقد عملوا منذ البداية على تعويق قيام الدولة المملوكة الأولى وهدمها فى مهدها على عهد عز لدين أيبك ٦٥٥/٦٦٨هـ / ١٢٥٠م/١٢٥٧م فقام عرب الصعيد بثورة كبيرة ضد المماليك سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م ٠

وكانت تلك الثورة أهم الثورات العربية فى مصر فقد اشترك فيها عرب الصعيد والوجه البحرى وكانت بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بناحية دهروط صربان (١) وقد نادى العرب فى هذه الثورة بأنهم أصحاب البلاد (٢) وامتنعوا عن دفع الخراج وأعلنوا أنهم أحق بالملك من المماليك وطلبوا المساعدة من الملك الناصر الأيوبى صاحب دمشق للقضاء على دولة المماليك بمصر ٠

---

(١) دهروط صربان :

تسمى تلك الناحية دروت سربام ، دروط سربان ، ذروة سربام ، ودروط الشريف لأن صاحب هذه القرية هو الشريف ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن يعقوب بن أبى جميل ابن جعفر وهو رئيس الجعافرة ومن ذريته الأمير حصن الدين ثعلب صاحب الثورة المشهورة ، ودهروط هى ديروط الحالية احدى مراكز محافظة أسيوط ٠

على مبارك :

الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدتها وبلادها القديمة والشهيرة ٠ المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣٠٥هـ الطبعة الأولى ج ١١ ص ٤ ٠

(٢) أحمد بن على المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ٠

صححه ووضع حواشيه ٠ محمد مصطفى زيادة ٠٠ مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٤م جـ ١ ص ٣٨٦ ٠

وقد انتهت تلك الثورة بالفشل لمواجهة المماليك لها بأقسى وسائل القمع والشدة وقبض على زعيم الثورة الشريف حصن الدين وسجن بالاسكندرية ..

وزاد المماليك القود (١) والقطيعة (٢) المفروضة على العرب .

ورغم ما لقيه العرب من أنواع التنكيل والتعذيب فى الثورة السابقة فانهم لم ينقطعوا عن الثورة واعتبار أنفسهم أرفع مكانة من المماليك وأولى منهم بالحكم والولاية .

وكانت أهم الثورات العربية من هذا القبيل .. ثورة عرب الصعيد (٣) (سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م) فى مدينتى منفلوط وأسيوط تلك الثورة التى وصل العرب فيها الى حد فرض ضريبة على أرباب الحرف واحتقار الحكام وتعطيلهم عن جمع الأموال واتخاذ رئيسين لهم سموهما بأسماء مملوكية (بيبرس ، سلار) .

وقد ادرك المماليك خطورة تلك الثورة فقاموا باخمادها بكل سرعة وبكل شدة وعنف .

فهزم العرب وجردوا من أموالهم وأملاكهم ومع ذلك تكررت ثورات القبائل العربية فى الصعيد وكان آخر تلك الثورات ثورة ابن الاحدب(٤) شيخ قبيلة عرك بالصعيد سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م بهدف السيطرة على منطقة الصعيد .

وواجه المماليك أيضا هذه الثورة كسابقاتها بأقسى وسائل القمع والتعذيب ومصادرة الاموال وقتل الرجال .

ولم يقتصر تطلع العرب الى الاستيلاء على الحكم على عرب الصعيد وحدهم بل كان الأمر كذلك بالنسبة للعرب فى جميع انحاء مصر .

---

(١) **القود :**

هو ما تبعث به قبائل العرب الى الملوك من الخيل والابل والحيوانات العزيزة .

على مبارك : الخطط التوفيقية حـ ١١ ص ٤ .

(٢) **القطيعة :**

ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا او ما يقرره فى أحوال غير عادية كالغرامة الحربية .

على مبارك : الخطط التوفيقية حـ ١١ ص ٤ .

(٣) المقريزى : المملوك جـ ١ ص ٩١٥ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور .

المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣١١هـ طبعة أولى جـ ١ ص ٢٠٠ .

ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من حركات التمرد التى كان يقوم بها عربان البحيرة والشرقية ضد السلطات المملوكية ٠٠ وقد سجل ابن اياس عن تمرد عربان البحيرة الشيء الكثير وكانت أهم حركات تمرد أولئك العربان ما وقع فى أعوام : ـ

٦٩٩هـ ، ١٢٩٩م ، ٧٨١هـ ـ ١٣٧٩م ، ٧٨٢هـ ـ ١٣٨٠م ، ٧٨٣هـ ١٣٨١م ، ٨٠٤هـ ـ ١٤٠١م ، ٨٧٢هـ ـ ١٤٦٧م ، ٨٧٥هـ ـ ١٤٧٠م ، ٨٩٢هـ ـ ١٤٨٦م ٠

وقد أذاق عربان الشرقية (١) المماليك شر العذاب بتمردهم الدائم عليهم ، وتربصهم المستمر بهم وقد وقع من شيخ عربان الشرقية ابن بقر وأولاده ـ الكثير من حركات التمرد ضد السلطنة المملوكية ٠

وقد كان العرب ينتهزون أى فرصة ينشغل فيها المماليك بمشاغل داخلية أو خارجية فيثورون متطلعين للاستيلاء على الحكم كما حدث عند وفاة السلطان الغورى فقد انتهز عربان الشرقية فرصة اضطراب المماليك ونهبوا كثيرا من البلاد (٢) وخلال اشتباك جيوش السلطان قايتباى مع العثمانيين استهان العرب بالمماليك (وزاد طمعهم فى الترك (٣)) ٠

ولكن القسوة المتناهية التى واجه بها المماليك ثورات العرب التى كانوا يهدفون من ورائها الى الاستيلاء على الحكم أدت تلك القسوة واستخدام أشد وسائل القمع الى اخماد ثورات العرب واضعاف شوكتهم حتى أن العهد التالى وهو العهد العثمانى لم يشهد أى ثورة يقوم بها العرب للاستيلاء على الحكم بل اقتصرت حركات العرب فى مصر على التمرد بقصد التحلل من تقديم ما عليهم من أموال للدولة وحركات أخرى كان يقوم بها العرب البدو وهى حركات نهب وسلب للأموال دون أن يكون هدف أى الفريقين الاستيلاء على الحكم ٠

وفى العهد العثمانى فرض الهوارة نفوذهم وسيطرتهم على الصعيد بتولى شيوخهم حكم الصعيد فى البداية ثم توليهم ادارة معظم أراضى الصعيد بالالتزام مما هيأ لهم نفوذا واسعا وسيطرة كبيرة فى ظل السيادة العثمانية ٠

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ح ٢ ص ١٣٤ ٠
(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ح ٣ ص ٥٤ ٠
(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ح ٢ ص ٢٥٢ ٠

وقد صحب زيادة نفوذ الهوارة توسيع اقليم جرجا بتوحيد أقاليم الصعيد كلها من المنيا الى أسوان تحت امرة حاكم جرجا فأصبحت ولاية جرجا تشمل أراضى الصعيد كلها رغبة من السلطات الحاكمة فى تقوية سلطة حاكم جرجا لمواجهة خطر القبائل العربية النازلة بالصعيد والمنتشرة بأرجائه (١) والتى وافق منها الصعيد مزاجا خاصا (٢) ٠

وفى العصر العثمانى المملوكى كان الهوارة يرجحون دائما الكفة التى ينضمون اليها من الأمراء المماليك المتنافسين ، وكانت صلة الهوارة بحاكم جرجا تتأرجح بين المهادنة أحيانا والتمرد والعداء فى أحيان أخرى ٠

وفى الحالة الأولى كانوا يمثلون ساعده الأيمن فى تطلعاته ضد حكومة القاهرة وكانوا يصحبونه اليها لتنفيذ أغراضه بها ٠

وفى الحالة الثانية ٠٠

كانوا يمتنعون عن تقديم المال والغلال المطلوبة منهم ويثيرون القلق فى نفسه وفى نفوس حكام القاهرة ٠

وقد تمتع الصعيد بوضع خاص فى العصر العثمانى المملوكى وكانت له أهمية بالغة لكونه مركز تموين القطر كله بالغلال ، ولوجود كثير من القبائل العربية به ولكونه ملجأ لكل الأمراء المنفيين والمتمردين يهربون اليه ويحاولون الاستعانة بسيوف العرب وسواعدهم فى استعادة مراكزهم وما كانوا يتمتعون به من نفوذ ٠

وبين قبائل الهوارة وفى تلك الظروف نشأ شيخ العرب همام ابن يوسف الذى بدل حياة الهوارة والصعيد من القلق والتأرجح بين المتنافسين الى الهدوء والاستقرار والأمن والعدالة ٠

★ ★ ★

---

(١) (SHAW) : S. G. The financial and administrative organizon and development of ottoman Egypt 1517-1798. Princeton U.P. 1962, p. 15.

(٢) سليمان عبد الرحمن مقال لقب أمير الصعيد البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ ص ٥٧ ٠

مصـــادر الكتـــاب

عندما توجهت لبحث موضوع شيخ العرب همام رأيت أن أبحث عن أسباب ثراء هذا الشيخ وكيف تمت له السيطرة على أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ٠

فكانت رحلاتى الى أحفاد الشيخ همـام بفرشوط حيث يوجـد أحفاد همام من نجليه شاهين ودرويش وزرت بهجورة حيث يوجد أحفاد همام من نجله عبد الكريم (١) ٠

وقد تجولت فى محافظة قنا وقراها عند أقارب الشيخ همام فى قنـا نفسها وفى شـنهور والرئيسية والشـاورية وهـو ، سـمهود ، الحلافى ٠٠٠٠ وغيرها من قرى قرى ٠

وقد زرت تلك المناطق ثلاث مرات بحثا عن وثائق تفيد فى موضوع البحث ٠

وفعلا حصلت من أحفاد همام وأقاربه على مجموعة طيبة من الحجج الشرعية الصادرة من المحاكم الشرعية فى القاهرة ومحاكم الصعيد : ـ

١ ـ حجج من أحفاد همام

وهى حجج خاصة بعلاقة الشيخ همام بالفلاحين فى الصـعيد ٠٠ اتضح لى منها كيف كان همام يعامل فلاحيه معاملة طيبة سواء أكـانوا هوارة أو عربا آخرين أو فلاحين مصريين وكيف كان يمدهم بالقروض التى تساعد العاجزين منهم على زراعة أراضيهم ومن تلك الحجج أيضـا اتضح لى أن الشيخ همام كان يسيطر على معظم أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان وانه بلغ حدا من القوة والنفوذ جعـله يرغم الأمراء المماليك على التنازل له عن أراضيهم فى الصعيد ٠

ومن تلك الحجج أيضا اتضح لى ما كان عليه الهوارة وهمام من ثراء طائل وقوة ونفوذ فى الصعيد وما كان لهمام من ادارة واسعة حافلـة بالموظفين وما كان له من نفوذ على أهالى الصعيد ٠

---

(١) زرت أحفاد الشيخ همام ثلاث مرات فى أعوام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ٠

٢ ـ حجج دفتر خانة محكمة قنا الشرعية

وقد زرت دفترخانة محكمة قنا الشرعيـــة حيث اطلعت على بعض الحجج الصادرة من محاكم الصعيد والتى اتضح لى منها ما كان عليـه الهوارة من ثراء وأوقافهم الهامة وثراء همام وأصل ونسب الهوارة ٠

٣ ـ دار المحفوظات بالقلعة

تم درست وثائق الالتزام الزراعى الخاصة بالصعيد (١)والموجودة فى دار المحفوظات بالقلعة بالقاهرة ابتداء من عام ١٠٦٩ هـ ـ ١٦٥٨ م حيث يبدأ أول دفتر للالتزام الى عام ١٢٢٣هـ ـ ١٨٠٨م وهى الســنة التى بدأ فيها محمد على الغاء التزامات الأراضى الزراعية ٠

وقد تتبعت فى هذه الدفاتر نحو سلطة همام كملتزم وتوســعه فى أراضى الصعيد ٠

وقد اتضح لى من هذه الدفاتر فئات الملتزمين فى ولاية جرجـا قبل ظهور الهوارة كملتزمين لأراضى الصـــعيد وكيف امتدت أراضـيهم من المنيا الى أسوان واتضح لى من تلك الدفاتر أن الشـــيخ همام قد ورث عن ابيه الشيخ يوسف أراضى واسعة شملت معظم أراضى الصعيد عن طريق حيازتها بنظام الالتزام وكيف ظهر همام فى البداية مشاركا لوالده وللهوارة الآخرين والمماليك والأمراء العرب الآخرين فى أراضى الصعيد ثم كيف نمت سلطة همام حتى نحى هؤلاء الشركاء عن الميدان وانفرد هو بمعظم أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ، ثم مصير تلك الأراضى بعد وفاة الشيخ همام وكيف أدار على بك الصعيد بعد القضاء على همام٠

٤ ـ دفترخانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة

ثم بحثت فى دفترخانة المحكمة الشرعية بالقـاهرة (٢) عن حجج تفيد فى موضوع همام فعثرت على بعض الحجج الشرعية الصـــادرة من محكمة بالباب العالى بالقاهرة والتى أوضحت لى كيف وصل همام الى حد من القوة والنفوذ فى الصعيد دفع كبار الأمراء المماليك الذين

---

(١) قمت بدراسة دفاتر التزامات الولايات القبلية بدار المحفوظات بالقلعة فى المدة من ١٩٦٦/٥/٤ الى ١٩٦٧/٨/١٣ ٠

(٢) ترددت على دفترخانة المحكمة الشرعية بالقـــاهرة فى المدة من مايو ١٩٦٧ الى أغسطس سنة ١٩٦٧ ٠

كانت لهم أراض أخذوها بالالتزام فى الصعيد الى التنازل عنها طواعية للشيخ همام لادراكهم لأنه سيكون هو المسيطر على الصعيد وصاحب النفوذ والسلطة فيه ٠

٥ ـ وثائق دار الوثائق القومية بعابدين

ثم درست مجموعة من تقاسيط الالتزام الموجودة فى دار الوثائق القومية بعابدين (١) (قبل نقلها الى القلعة) ومنها أمكن لى حل الكثير من رموز خط القرمة لأن هذه التقاسيط كان مرفقا بها حجج شرعية خاصة بالتنازل عما تحويه تلك التقسيط من أراض لحائزين جدد وبيانات هذه الحجج باللغة العربية وبمقارنة البيانات فى الحجة الشرعية والتقسيط الأصلى أمكن لى معرفة الكثير من رموز خط قرمة وحلها ٠

بالاضافة الى أن هذه التقاسيط والحجج قدمت لى فكرة واضحة عن حركة توارث أراضى الالتزام ٠

٦ ـ المصادر التاريخية

وبدراسة الوثائق والمصادر التاريخية مثل تواريخ الجبرتى والمقريزى والقلقشندى أبو المحاسن ، السخاوى ، ابن اياس ، ابن زنبل ، الاسحاقى ، الخشاب ، مصطفى ابراهيم عزبان وكتب الرحالة أمثال جيمس بروس ، فانسليب وفولنى اتضح لى : ـ

ان الشيخ همام تمتع بنفوذ واسع فى الصعيد استمده من ثرائه الطائل ومن عصبيته القبلية بزعامته لقبائل الهوارة ذات النفوذ الواسع فى الصعيد ، وأن الشيخ همام تمتع بسلطة واسعة فى الصعيد فكان هو الحاكم الفعلى له بالرغم من بقاء مظاهر الادارة العثمانية كما هى كما كان الأمر بالنسبة للحكم الفعلى للمماليك فى القاهرة بالرغم من بقاء الوالى العثمانى بشكل ظاهرى (٢) وقد أخذ همام لقب الامارة تجاوزا لاستمداده سلطته من الأمير المملوكى حاكم جرجا (٣) ٠

---

(١) قمت بدراسة تقاسيط الالتزام والحجج الموجودة بدار الوثائق القومية بعابدين فى المدة من ١٩٦٧/٤/٩ الى ١٩٦٧/٧/٢٣ ٠

(٢) أحمد لطفى السيد ، لقب أمير الصعيد بين الكنوز والهوارة ـ البلاغ ١٩٣٤/١/٢٠ ٠

(٣) محمد الغنيمى التفتازانى ، امارة الصعيد تاريخ هوارة وعلاقتها بهذا اللقب ـ البلاغ ١٩٣٤/١/٢٧ ٠